

القَصَصُ الدِّينِي
السَّلسلة الأولى
قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

سَفِينَةُ نُوحٍ

عبد الحميد جودة السحار

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

الْقِصَصُ الدِّينِي

سَفِينَةُ نُوحٍ

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصير
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل في السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها في جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجماً أو معرباً . وفي القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه في مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا في هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هي المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن في هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثاني : أن نحقق السرد الفني للقصص بما يربي في الطفل الشعور الديني ويقوى الحاسة الفنية وينمي الذوق الأدبي .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هي الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهي خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت في أربعة وعشرين جزءاً ؛ وأما الحلقة الثالثة فهي خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت في عشرين جزءاً ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية في جميع العصور . وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذي اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولي التوفيق .

المؤلف

كَثُرَ أَبْنَاءُ آدَمَ وَحَوَّاءَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَوْلَادُهُمْ ،
 وَأَوْلَادُ أَوْلَادِهِمْ ؛ وَأَصْبَحُوا شَعْبًا كَبِيرًا . وَمَعَ مَرُورِ
 الزَّمَنِ ، نَسِيَ النَّاسُ رَبَّهُمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ ؛ وَصَنَعُوا
 بِأَيْدِيهِمْ أَصْنَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَسَجَدُوا لَهَا وَعَبَدُوهَا ؛
 وَاعْتَقَدُوا أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ آلِهَةٌ تَنْفَعُهُمْ وَتَضُرُّهُمْ !
 عِنْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى
 عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَخَلَقَ
 أَبَاهُمْ آدَمَ وَأُمَّهُمْ حَوَّاءَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؛ وَخَلَقَ لَهُمُ الْأَرْضَ
 بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ حَيَوَانَ وَمَاءٍ ، وَنَبَاتٍ وَأَشْجَارٍ ؛
 وَأَعْطَاهُمُ الْعَقْلَ الَّذِي يَفْكُرُونَ بِهِ ، وَالْعَيْنَ الَّتِي
 يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَالْأُذُنَ الَّتِي يَسْمَعُونَ بِهَا ، وَالْفَمَ
 الَّذِي يَتَكَلَّمُونَ بِهِ ، وَالْأَنْفَ الَّذِي يَشُمُّونَ بِهِ .

والأرجلَ للمشى عليها ، والأيدي للعمل بها ،
وخلق لهم الشمس والقمر والنجوم ، وسائر الأشياء
فى الأرض أو فى السماء .

ذهب نوحٌ إلى قَوْمِهِ ، فقال لهم :

يا قومى : إنكم صنعتُم هذه الأصنامَ بأيديكم ،
وأصلها حجارةٌ كما تعرفون ، ولكنكم تسجدون لها
وتعبدونها كأنها إلهٌ حقيقى !

يا قومى : إنَّ اللهَ هو الذى خلقكم ، وهو الذى
يُعطيكم الرزق ، لأنه هو الذى جعلكم قادرين على
زراعة الأرض ، وتربية الحيوان ، وصيد الأسماك ،
وأرسل إليكم المطرَ من السماء ليتكوَّن منه الماء ،
فآمنوا بالله وحده واعبدوه ، واتركوا عبادة هذه
الأصنام ، التى لا تنفع ولا تضر .

يا قومى : إننى أنصحكم لوجه الله ، ولا أطلبُ

منكم أجراً على هذه النصيحة .

عند ذلك قال بعضُ الناس : واللّٰه هذا كلامٌ معقول . إنّ هذه الأصنام لا تتكلّم ولا تتحرّك ، فكيف تكونُ آلهة ؟ إنّ الإله لا يكونُ قطعةً من الحجر !

وقال البعض الآخر : لا لا . هذه آلهتنا ، ولا نتركها أبدا .

فأمّا الذين صدّقوا كلامَ نوح ، فكانوا من الفقراء الطيّبين ، وقد انضمُّوا إليه ، وتركوا عبادة الأصنام ، ورَجَعُوا إلى عبادةِ الله .

وأمّا الأغنياء والمتكبِّرون ، فقالوا : مَنْ هو نوح حتى نسمعَ كلامه ؟ إنّهُ رجلٌ مجنون ، فقير ، لا قيمة له ولن نسمع كلامه أبدا .

وفى اليوم التالى ، ذهب نوحٌ إلى هؤلاء الأغنياء المتكبرين يدعوهم إلى عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، فقال له بعضهم :

- هل جئنت يا نوح ؟ ما هذا الكلام الفارغ الذى تقوله ؟ لقد كنت من قبل عاقلاً ، ولم نسمع منك هذا الكلام العجيب إلا أمس ، فماذا جرى لك ؟

قال لهم نوح : يا قومى ، إننى لم أجن . ولكن ربى أرسلنى إليكم لأرشدكم لأنكم تركتم عبادته ، وعبدتم الحجارة التى عملتها أيديكم .

قال له واحدٌ منهم : ولماذا اختارك الله من بيننا وأنت رجلٌ فقير ، ولست أحسن منا حتى يختارك ويرسلك إلينا ؟

قال نوح : إذا كنتُ فقيراً ، فإن قلبى طيبٌ ومخلصٌ لله والله يحبُّ الطيبين المخلصين . وإذا

سَمِعْتُمْ كَلَامِي فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ الْجَنَّةَ ، فهو
الذى خَلَقَكُمْ ، وهو الذى يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَرَّةً أُخْرَى .

قال له أحدهم : اسْمَعْ يَا نُوحُ ؛ هل تريد أن
نُصَدِّقَكَ ، وَنَتَّبِعَكَ ؟ اطْرُدْ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ
مَعَكَ ، فَإِنَّا لَا نُحِبُّ أَنْ نَجْتَمِعَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ ،
وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ وَأَسْيَادُ !

فردَّ نوح قائلاً : وما ذَنْبُ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ ! إنهم
نَاسٌ طَيِّبُونَ مُخْلِصُونَ . وَاللَّهِ يُحِبُّ الطَّيِّبِينَ
الْمُخْلِصِينَ . وَحَرَامٌ عَلَيَّ أَنْ أَطْرُدَهُمْ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ .
عندئذ قال له القوم : إِذَنْ فَاذْهَبْ بَعِيدًا عَنَّا ، وَلَا
تُحَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ تَكَلِّمَنَا .

ولكن نوح لم يَنْقَطِعْ عَنِ الذَّهَابِ إِلَيْهِمْ ، يَوْمًا بَعْدَ
يَوْمٍ ، لِيَنْصَحَهُمْ وَيُرْشِدَهُمْ . فَقَالَ لَهُمْ مَرَّةً :

- يا قومى إني أخافُ عليكم غضبَ الله ، وعَذابَ
الله ، وأنا واحدٌ منكم ، ومُشْفِقٌ عليكم .
وفى هذه المِرَّةِ لم يردُّوا عليه أبداً كأنهم لم
يَسْمَعُوهُ ! قالَ لهم نوح : إن كنتم لا تحترموننى أنا ؛
لأننى رجلٌ فقير ، فاحترموا ربكم الذى رزقكم بهذه
الأموال ، وأعطاكم الأولاد والصحة والقوة .
عند ذلك غطُّوا وجوههم بأطراف ثيابهم حتى لا
يَرَوْه ، وسدُّوا آذانهم بأطراف أصابعهم حتى لا
يَسْمَعُوهُ .

فدارَ نوح من حولهم ورفعَ صوته عالياً ، وهو
يقول : يا قومى : إني أخافُ عليكم عَذابَ يومٍ
شديد ، فاسْمَعُوا وأطيعوا قبل أن ينزلَ عليكم

غَضَبُ اللَّهِ وَعَذَابُهُ .

فَلَمَّا تَضَايَقَ الْقَوْمُ مِنْهُ كَشَفُوا وُجُوهَهُمْ ، وَنَظَرُوا
إِلَيْهِ فِي غَيْظٍ وَقَالُوا :

— يَا نُوحُ : لَقَدْ جَادَلْتَنَا وَهَدَدْتَنَا بِالْعَذَابِ ،
فَاذْهَبْ وَأَتْنَا بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ الَّذِي تُخَوِّفُنَا بِهِ . وَإِذَا
عُدْتَ إِلَيْنَا فَسَنَرْجُمُكَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى نَمُوتَ .
ثُمَّ التَفَّتْ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَقُولُونَ : لَا تَتْرُكُوا
عِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ . لَا تَتْرُكُوا وَدًّا وَلَا سُورَاعَا ، وَلَا
يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا .
ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ وَتَرَكَوهُ .

٢

رَجَعَ نُوحٌ مُتَأَلِّمًا حَزِينًا . فَرَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ
يَشْكُو لَهُ قَوْمَهُ .

قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمْ

يَزِدُّهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ، جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ، وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ، ثُمَّ إِنِّي أَغْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا . فَقُلْتُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا . مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٠﴾ .

قال نوحٌ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ
يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ، وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا .
وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ،
وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ
الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا .. ﴾ .

وقال نوح : ﴿ رَبِّ ، لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ
الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلَا
يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ، رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ
دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَلَا تَزِدِ
الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ .

عند ذلك استجاب الله دعاءه ، وقال له : يا
نوح ، لا تتألم ولا تحزن مما وقع لك من الإهانات ؛
فإنني سأغرق الكفار جميعا ، ولن ينجوا إلا أنت
وأهلك والمؤمنون معك .

وأمره الله أن يصنع سفينة عظيمة جدًا ، وأن
ينتظر حتى يُخبره عما يصنع بها ، ولما كان نوح لا
يعرف كيف يصنع السفينة ، فقد علمه الله كيف
يصنعها .

وذهب نوح إلى الغابة ، وأخذ يقطع الأشجار ،
ويشققها ألواحًا ، وينظفها ، ويقطعها ، ويركبها .

وبينما هو يعمل في السفينة ، كان الكفار من
قومه يمرون عليه ، فيضحكون ، ويقولون :

يا نوح : مالك تركت الكلام الغريب الذي كنت
تقوله لنا ، ورُحْتَ تصنع المراكب ؟ هل رأيت أن
النجارة أكسب من الرسالة ؟

فيقول لهم : انتظروا وستعرفون !

فيضحكون عليه ويصيحون : مجنون ! ألم نقل لكم
إنه مجنون ؟ يوما يقول : إنه نبي ، ويوما يشتغل نجارا .

لما فرغ نوح من عمل السفينة ، أمره الله أن يضع فيها زوجاً من كل نوع من أنواع الحيوان والطيور والزواحف والحشرات ، ثم يدخل فيها هو وأهله والذين آمنوا معه . لأن الله سيرسل طوفاناً عظيماً يغرق الأرض . فلا ينجو إلا من كان في السفينة .

وراح نوح يجمع زوجاً من كل نوع من أنواع الحيوان : ذكراً وأنثى — من الجمال والخيول والبقر والغنم والماعز والأسود والنمور والذئاب والضباع والشعالب . ومن الأفيال والزراف والغزلان والقروود . وزوجاً من كل نوع من أنواع الطيور : ذكراً وأنثى ، من الدجاج والحمام ، والبط والإوز ، والديكة والفراخ الرومية واليمام والعصافير ، ومن

الغربان واليوم والنسور والصقور . وزوجا من كل
نوع من أنواع الزواحف : ذكرا وأنثى : من
السلحفاة والثعابين والسحالي والأبراص . وزوجا
من كل نوع من أنواع الحشرات : ذكرا وأنثى ،
من العناكب والعقارب والخنفساء والصراصير .. إلى
غير ذلك من كل الأحياء التي على ظهر الأرض .
جعل لكل منها بيتا في السفينة .

وخزن نوح في السفينة مقادير كبيرة من طعام
الحيوان والطير والزواحف ، ومن الماء الحلو . كما
أخذ معه أصنافا من جميع الحبوب وبذور الأشجار
التي تنبت في الأرض .

وفي آخر يوم دخل نوح وأهله والمؤمنون معه -
إلا امرأته فقد كانت كافرة - وأقفلوا أبواب السفينة
ونوافذها ، كما أمره الله سبحانه وتعالى .

وعند ذلك هبت زوابعٌ وعواصفٌ شديدة ،
وأظلمت السماء ، وبرق البرق ورعد الرعد .
وتدفقت الأمطار الغزيرة من السماء ، وتفجرت
عيون الماء من الأرض . وصار الجو مخيفاً فظيماً .

وارتفع الماء شيئاً فشيئاً على وجه الأرض ، حتى
عامت السفينة . ثم أخذ الماء يغمر الأشجار
والبيوت ، فهرب الكفار منها ، وراحوا يجرّون إلى
الجبال لتنجيهم من الماء .

وفي هذا الوقت نظر نوح من إحدى النوافذ العالية
في السفينة ، فرأى واحداً من أولاده يجرى نحو قمة
جبل . وكان هذا الولد لم يؤمن ، فغافل والده
وهرب من السفينة قبل أن يغلقها نوح .

زعق نوح بأعلى صوته : ﴿ يا بُنَيَّ اركب معنا ولا
تكن مع الكافرين ﴾ .

قال : ﴿ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ .

فرعق نوح مرةً أخرى وقلبه يدق :

قال : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ .

وفي هذه اللحظة ارتفعت موجةٌ عالية ، فقلبت الشابَّ وجرفته مع التيار ، واختفى عن نظر والده وغاب .

وسارت السفينة بين أمواج عالية ، كأنها الجبال الضخمة ، يوماً بعد يوم ، وليلةً بعد ليلة ، والطوفان يرتفع ويرتفع ، ويغمر المرتفعات والجبال ، حتى لم يبقَ شيء ظاهرًا على وجه الأرض ، ومات الناس والحيوان والطير وسائر الأحياء ، إلا الذين في السفينة مع نوح .

عند ذلك قال الله : ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ، وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ - أَيْ كُفِّي واسكتي - فسكت المطر

والبرق والرعد وطلعت الشمس ، وابتلعت الأرض
ما عليها من الماء . وكانت السفينة قد رست على
جبل « الجودي » ولكنها كانت مغلقة النوافذ
والأبواب ، وكل ما فيها ظلام في ظلام .

أحس نوح أن السفينة راسية لا تتحرك ، ففتح
نافذة ليرى ماذا تم في الدنيا . فدخل شعاع من أشعة
الشمس فيها . وكان قد مضى على من فيها زمن
طويل وهم لا يرون شيئا ، فهاصوا وزاطوا وزأروا
الأسد ، وصرخ النمر ، وعوى الذئب ، ونبح
الكلب ، وماء القط ، ورغا الجمل ، وثغا الخروف ،
وصهل الحصان ، ونهق الحمار ، وصاح الديك ،
ونعق الغراب ، ونعبت البومة ، ورجع الحمام ،
وشقشق العصفور .

واختلطت الأصوات كلها بأصوات الناس ، وهم

يقولون : الحمد لله الذى نَجَّانا . الحمد لله الذى
نَجَّانا . افتح يا نوح ، افتح يا نوح .
ولكن نوح قال لهم : اصبروا وتمهلوا ، وانتظروا
حتى نعرف ماذا تم فى الأرض قبل أن نهبط إليها .

٤

عندما عَرَفَ نوحٌ أَنَّ الأرضَ قَدْ جَفَّتْ ، فتح
أبواب السفينة ، وأَخَذَ يُطْلِقُ السَّبَاعَ المَفْتَرِسَةَ
والطيورَ الجَارِحَةَ أولاً ، حتى إذا ابتعدت عن المكان
أطلق البهائم الأليفة والطيور الداجنة ، ثم خرج هو
وأولاده وأهله والذين آمنوا معه .
وجلس نوحٌ بين أهله وأبنائه ، فرأى مكان ابنه
الشَّابَّ خالياً ، فدمعت عيناه ، وحزن قلبه ، وتوجَّه
إلى الله يدعوهُ .

قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ وَقَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ
تُنَجِّيَ مَعِيَ أَهْلِي جَمِيعًا .

يَا رَبِّ رُدِّ عَلَيَّ وَلَدِي ، يَا رَبِّ إِنَّكَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ .

قال له الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ، فَعَرَفَ نُوحٌ أَنَّهُ
أَخْطَأَ ، لِأَنَّ ابْنَهُ هَذَا كَافِرٌ لَيْسَ وَلَدُهُ ، وَلَا يَسْتَحِقُّ
أَنْ يَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ إِحْيَاءَهُ .

وَخَافَ نُوحٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ غَاضِبًا عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ طَلَبَ
مِنْهُ أَنْ يُحْيِيَ لَهُ ذَلِكَ الْوَلَدَ الْكَافِرَ ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ
يَغْفِرَ لَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَنَّ الْوَلَدَ
الْكَافِرَ لَا يَكُونُ مِنْ أَقْرَبَائِهِ .

وَسَمِعَ اللَّهُ دَعَاءَهُ ، فَارْضَى عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : عِشْ
أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ فِي الْأَرْضِ ، وَازْرَعُوا وَاعْمُرُوا .

فقام نوحٌ ومن معه ييذرون الحبوب ، ويغرسون
البذور ، ويبنون البيوت ، حتى عادت الأرضُ عماراً
بعد الطوفان .